



## د. رعوف عباس: الأشجار لا تموت إلا واقفة

د. عبدالمنعم الجميبي

9 يوليو 2008

عاش د. رعوف عباس مؤرخاً فذا بين المؤرخين، وترك فراغاً كبيراً في نفوس زملائه وطلابه، كما ترك بينهم أطيّب الأثر وأجمل الذكر، وإن كان قد تركهم إلي جوار ربه فإنه حي في قلوبهم، بل هو ملء حياتهم بما قدم من جليل الخدمات في ميادين العلم والفكر والثقافة.. وإذا كان رعوف عباس قد غادرنا بجسده، فإن إسهاماته الجادة المثمرة ستظل باقية تنير درب للسائرين إلي منواله وفيه يصدق قول الشاعر

الناس صنفان موتي في حياتهم

وأخرون يبطن الأرض أحياء

ولد رعوف عباس ببورسعيد في 1939/8/24، وحصل علي ليسانس الآداب في قسم التاريخ بجامعة عين شمس في عام 1961 وعلي الماجستير في نوفمبر 1966 وعلي الدكتوراة في يناير 1971، وعمل في حقل التدريس الجامعي منذ تعيينه معيداً بآداب القاهرة في عام 1967 ثم تدرج في المناصب العلمية حتي وصل إلي درجة الاستاذية في عام 1981، وعين رئيساً لقسم التاريخ بآداب القاهرة في ابريل 1982 وحتى ابريل 1987 كما تولى منصب وكالة الكلية للدراسات العليا في سبتمبر 1996 وحتى احواله إلي المعاش في عام 1999 يضاف إلي ذلك أن لرعوف عباس العديد من الأنشطة الأكاديمية منها عمله كأستاذ زائر بجامعة طوكيو في اليابان وجامعات قطر والإمارات العربية والسربون بباريس وكاليفورنيا وجورجيا بالولايات المتحدة، وهامبورج وإسن وكيبيل بالمانيا والجامعة الأمريكية بالقاهرة.. وتولي رعوف عباس رئاسة وحدة الدراسات التاريخية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام منذ فبراير 1980 كما تولى رئاسة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية التي كانت ربييته ومقصده، واستطاع أن يأخذ بيدها حتي أخذت مكانتها اللائقة بها كمنارة ثقافية مهمة تفخر بها مصر.. ويعد رعوف عباس رائداً من رواد التاريخ الاجتماعي في مصر وواحداً من أصحاب المؤلفات ذات القيمة العالية والتي تتميز بالاصالة والعمق.

من أسرة كادحة

ويرجع اهتمام د. رعوف بالبحث في تاريخ البناء الاجتماعي والاقتصادي في مصر الحديثة إلي عدة عوامل نذكر منها.

1- انه نشأ في أسرة كادحة ليس لها املاك أو عقارات فكان والده موظفاً بسيطاً بالسكة الحديد، وكان جده لأبيه يعمل بالسكة الحديد أيضاً أما جده لأمه فكان يعمل «بامبوطي».

2- أنه تأثر بجو الستينيات في القرن العشرين خاصة انه عمل باحدي الشركات في كفر الزيات خلال فترة الماجستير وأحس بالعمال ومشاكلهم وآمالهم ولم يكن هناك في ذلك الوقت كتابات علمية متخصصة كتبت بأقلام مصرية عن هذا الموضوع ونتيجة لذلك أخذ في اعداد رسالته للماجستير عن «الحركة العمالية في مصر 1899 - 1952» ولم تتوقف دراسات رعوف عباس عن الحركة العمالية علي هذه الدراسة فقام باستكمال هذا الموضوع بكتاب عنوانه «الحركة العمالية في ضوء الوثائق البريطانية 1924 - 1937» وفي رسالته للدكتوراة واصل رعوف عباس دراسته في مجال التاريخ الاجتماعي والاقتصادي فكتب رسالته المعنونة «الملكيات الزراعية الكبرى واثرها علي المجتمع المصري 1837 - 1914» وفيها أوضح أن مصر شهدت فترة التحول الرأسمالي

في شكل زراعي، كما تعرض في هذه الدراسة لعوامل نمو الملكيات الزراعية الكبيرة، والتركيبة الاجتماعي لكبار الملاك الزراعيين، وسياسة الاحتلال الزراعي وإلي جانب ذلك فللدكتور رعوف بعض الدراسات في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي سواء منها ما كان في مجال الترجمة مثل ترجمته لكتاب «مورس دوب» المعنون «دراسات في تطور الرأسمالية».

وفي مجال الدراسة بالعربية نذكر دراسته عن «حزب الفلاح الاشتراكي 1938 - 1952» ودراسته عن «أوراق هنري كوربييل والحركة الشيوعية المصرية».

ولم تقتصر دراسات رعوف عباس علي التاريخ الاجتماعي والاقتصادي فحسب بل تطرق بعضها إلي التاريخ السياسي فقام بتحقيق الجزء الأول من «مذكرات محمد فريد» كما قام بعمل دراسة عن «جماعة النهضة القومية».

وإلي جانب ذلك قيامه بترجمة كتاب «الكسندر شولش» «مصر للمصريين 1878 - 1882».

يضاف إلي ذلك أن الدكتور رعوف يعد من المؤرخين المصريين القلائل الذين اهتموا بدراسة تاريخ اليابان الحديث في القرن التاسع عشر.

#### مشيناها خطأ

أما عن الكتاب المشكلة والذي أثار العديد من الزوابع فكان مذكراته التي كتبها بعنوان «مشيناها خطأ» والذي صدر عن مؤسسة دار الهلال في ديسمبر 2004 ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات خاصة أنه لاقى اهتماما واسعا نظراً إلي جديته العلمية في معالجة قضية التعليم الجامعي وتراجع الجامعة المصرية عن الاضطلاع بدورها المنوط بها هذا إلي جانب انه تناول قصة كفاح مشرفة ورحلة مجيدة في حياة رعوف خلال البحث عن معني الكفاح في سبيل الوصول إلي الهدف وحول دور رعوف عباس في تنشيط مدرسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي داخل قسم التاريخ فقد وجه تلاميذه إلي هذه الدراسات وتابع أعمالهم بكل جدية واخلاص حتي أقام صرح مدرسة من تلاميذه تشهد له بالفضل والكفاءة والعلم.

أما عن علاقة رعوف عباس بالجمعية التاريخية فقد استطاع أن يترك بصمة واضحة فيها، وكان له دوره المؤثر في النهوض بها والأخذ بيدها إلي بر الأمان بعد أن تعرضت للافلاس، ولم يأل جهداً حتي اخذت الجمعية مكانتها اللانقطة بها، وأصبح لها مبني يعد أحد المنارات الثقافية الهامة في مصر.

إن الأشجار تموت واقفة، وكذلك فعل رعوف عباس حيث رحل الجسد وبقي الأمل، فذكراه باقية في النفوس ماثلة في الاذهان يجدها مرور الشهور والاعوام فإلي روحه الطاهرة في دار الأبدية أبعث اليها بتحيات الذكرى التي يرسلها القلب، وتفيض بها المشاعر، ويحملها الرجاء إلي عالم الأرواح.

فيانفس رعوف إسكني إلي جوار ربك راضية مرضية ويا روح رعوف سلام وريحان وجنة نعيم وسبيقي رعوف عباس في الذاكرة تجسيدا للحق والخير الذي سيظل صداه ناقوسا يدق في العقل والقلب وسبيقي اخلاصه في العطاء رمزاً لكل محب لهذا الوطن وإنا لله وأنا اليه راجعون.

<http://www.al-ahaly.com/articles/08-07-09/1385-plt01.htm>